سورة مريم

٦١٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .. ﴿٦﴾﴾ أى يرث العلم والنبوة لا المال، لخبر «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وورث يتعدى بنفسه وبـ «من» وقد جمع بينهما فى الآية، وقيل: «من» للتبعيض لا للتعددية، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء، وعلى الأول المراد من «آل يعقوب» الأنبياء، لأنهم الذين لا يورثون إلا العلم والنبوة.

٦١٥ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا..﴿٨﴾﴾ الآية.

إن قلت: كيف استبعد زكريا ذلك وأنكره؟

قلت: لم يفعله إنكارًا، بل ليجاب بما أجيب به عن طلبه الولد، وهو قوله تعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ فيزداد الموقنون إيقانًا، ويرتدع المبطلون.

أو قاله: تعجب فرح وسرور، لا تعجب إنكار واستبعاد، ويعقوب المذكور هو أبو «يوسف» وقيل: هو أخو زكريا، وقيل: هو أخو عمران أبى مريم عليه السلام.

٦١٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً .. ﴿١٠﴾﴾ أى علامة.

فإن قلت: كيف طلب العلامة على وجود الولد، بعدما بشره الله تعالى؟

قلت: ليبادر إلى الشكر، ويتعجل السرور، إذ الحمل لا يظهر فى أول العلوق، فأراد معرفته أول وجوده، فجعل الله آية وجوده عجزه عن كلام الناس.

---

٦١٥ ـ تفسير القرطبى ١٦/ ٣٩.

٦١٦ ـ القرطبى ١١/ ٨٥.

٦١٧ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال بعده ﴿ولم يجعلنى جبارًا شقيا﴾ لأن الأول فى حق «يحيى» والثانى فى حق «عيسى» عليهما السلام.

٦١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾.

قاله هنا: فى قصة «يحيى» منكرًا، وقال بعد فى قصة «عيسى»: ﴿والسلام علىّ يوم ولدت﴾ معرفًا، لأن الأول من الله والقليل منه كثير، والثانى من عيسى و«ال» للاستغراق أو للعهد كما فى قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. فعصى فرعون الرسول﴾ أى ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إلىّ.

٦١٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا .. ﴿١٧﴾ ﴾ أى جبريل.

فإن قلت: كيف قال ذلك، مع اتفاق العلماء على أن الوحى لم ينزل على امرأة، ولهذا قالوا فى قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أنه وحى إلهام، وقيل: وحى منام.

قلت: لا نسلم أن الوحى لم ينزل على امرأة، فقد قال مقاتل فى قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أنه كان وحيا بواسطة جبريل، والمتفق عليه إنما هو وحى الرسالة، لا مطلق الوحى، والوحى هنا إنما هو ببشارة الولد لا بالرسالة.

٦٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾.

إن قلت: كيف قالت مريم ذلك، مع أنه إنما يتعوذ من الفاسق لا من التقى؟

قلت: معناه إن كنت ممن يتقى الله، فأنت تنتهى عنى بتعوذى بالله منك.

وقيل: ظنته رجلاً اسمه «تقى» ـ وكان فاجرًا ـ فتعوذت منه.

---

٦١٧ ـ متشابه القرآن ٤٥١، والبرهان وروح المعانى للألوسى ١٦/ ٧٢.

٦١٩ ـ تفسير القرطبى ١٦/ ٤٦.

٦٢١ ـ قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ بتقدير إنما أنا رسول ربك، يقول لك، أرسلت رسولاً إليك لأهب لك، فيكون حكاية عن الله لا من قول جبريل، وقرىء ﴿ليهب لك﴾ أى ليهب ربك لك غلامًا، أو بإسناد الهبة إلى جبريل مجازًا، أى لأكون سببًا فى هبة الولد، بواسطة نفخى فى درعها، فهو من قول جبريل.

٦٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ لم تقل: بغية، لما قاله ابن الانبارى من أن «بغيا» غالب فى النساء، وقل ما يقول العرب: رجل بغى، فتركوا التاء فيه إجراء له مجرى حائض، وعاقر.

أو هو: «فعيل» بمعنى فاعل، فتركوا التاء فيه كما فى قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾.. أو لموافقة الفواصل.

٦٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿ .. فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ مرتب على مقدر بينه وبين الشرط تقديره: فإما ترين من البشر أحدًا، فيسألك الكلام، فقولى إنى نذرت الآية، وبهذا سقط ما قيل من أن قولها ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ كلام بعد النذر، إذ هو بهذا التقدير من تمام النذر لا بعده.

٦٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿ .. وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾.

إن قلت: كيف أمر بذلك مع أنه كان طفلاً، وخطاب التكليف إنما يكون بعد البلوغ والتمييز؟

قلت: ذلك لا يدل على أنه أوصاه بأداء ذلك فى الحال، بل أوصاه فى الحال بالأداء، بعد البلوغ والتمييز، أو أن الله صيره عقب ولادته بالغًا مميزًا، بدليل قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ فكما أنه تعالى خلق آدم تامًا كاملاً دفعة، فكذا القول فى «عيسى» عليهما السلام، وهو أقرب إلى ظاهر قوله ﴿ما دمت حيا﴾، فما أوصاه بذلك إلا بعد بلوغه وتمييزه.

فإن قلت: الزكاة إنما تجب على الأغنياء، وعيسى لم يزل فقيراً، لابسًا كساء مدة مكثه فى الأرض، مع علمه تعالى بحاله، فكيف أوصاه بها؟

قلت المراد: بالزكاة هنا تزكية النفس وتطهيرها من المعاصى، لا زكاة المال.

٦٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الزخرف: ﴿وإن الله هو ربى وربكم﴾ بزيادة «هو» لأنه تعالى ذكر قصة عيسى عليه السلام هنا مستوفاة، فأغنى ذلك عن التأكيد، بخلافه ثم، ولذلك قال هنا: ﴿فويل للذين كفروا﴾ وفى الزخرف ﴿فويل للذين ظلموا﴾ إذ الكفر أشد قبحًا من الظلم، فكان وصف من ذكر بالكفر، فى المحل الذى استوفى فيه قصة عيسى، أنسب بالمحل الذى أجمل فيه قصته.

وقال هنا: ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ وعكس فى «الكهف: ٢٦» لأن معناه أنه تعالى ذكر قصص الأنبياء، فاسمعها وتدبرها، واستعمل النظر فيها ببصيرتك، ومعناه فى الكهف أنه تعالى له غيب السموات والأرض، فاجعل بصيرتك فى الفكر فى مخلوقاته، وتدبرها بحيث تصل إلى معرفته، واسمع لصفاته ووحده، فناسب تقديم السمع هنا، والبصر ثم.

٦٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾.

أن قلت: الاستغفار للكافر حرام، فكيف وعد إبراهيم عليه السلام أباه، بالاستغفار له مع أنه كافر:

قلت: معناه سأسأل الله لك توبة، تنال بها مغفرته يعنى الإسلام، والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز، كأن يقول: اللهم وفقه للإسلام، أو تب عليه واهده. أو أنه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار للكافر.

٦٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ .. ﴿٥٢﴾ ﴾ أى الذى يلى يمين موسى، حين أقبل من مدين.

٦٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

إن قلت: هارون كان أكبر من موسى، فما معنى هبته له؟

قلت: معناه أن الله تعالى أنعم على موسى عليه السلام، بإجابته دعوته فيه، حيث قال: ﴿واجعل لى وزيرا من أهلى. هارون أخى﴾ الآية، فمعنى هبته له جعله عضدا له وناصرًا ومعينًا.

٦٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾.

قاله هنا: وقال فى الفرقان: ﴿وعمل عملاً صالحًا﴾ لأنه تعالى أوجز هنا فى ذكر المعاصى، فأوجز فى التوبة، وأطال ثم فأطال.

٦٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكر العدد بعد الإحصاء، مع أن الإحصاء هو العد أو الحصر، والحصر لا يكون إلا بعد معرفة العدد؟

قلت: له معنى ثالث، وهو العلم كقوله تعالى: ﴿وأحصى كل شىء عددا﴾ أى علم عدد كل شىء، فالمعنى هنا: لقد علمهم وعدهم عدا.

« تمت سورة مريم »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

٦٢٩ ـ انظر القرطبى ١١/١٢٦، والبرهان ٢٩٤.

obeikandl.com